



shariatallah.org

شريعة الله: الملحق 2: الختان والمسيحي

الختان: وصية تعتبرها جميع الكنائس تقريبًا ملغاة

من بين جميع وصايا الله المقدسة، يبدو أن الختان هو الوصية الوحيدة التي تعتبرها جميع الكنائس تقريبًا، وبشكل خاطئ، ملغاة. هذا الإجماع واسع الانتشار لدرجة أن حتى الخصوم العقائديين السابقين – مثل الكنيسة الكاثوليكية والطوائف البروتستانتية (مجمع الله، الأدفنتست السبتيون، المعمدانيون، المشيخيون، الميثوديون، إلخ) – وكذلك الجماعات التي تُصنّف غالبًا كطوائف، مثل المورمون وشهود يهوه، جميعهم يؤكدون أن هذه الوصية قد أُلغيت عند الصليب.

يسوع لم يُعلّم أبدًا إلغائها

هناك سببان رئيسيان وراء انتشار هذا الاعتقاد بين المسيحيين، رغم أن يسوع لم يُعلّم أبدًا مثل هذا التعليم، ورغم أن جميع رسل يسوع وتلاميذه أطاعوا هذه الوصية – بمن فيهم بولس، الذي غالبًا ما تُستخدم كتاباته من قبل القادة لـ "إعفاء" الأمم من هذا الأمر الذي فرضه الله نفسه.

يتم هذا الادعاء على الرغم من عدم وجود أي نبوءة في العهد القديم تشير إلى أن شعب الله – سواء كانوا يهودًا أو أممًا – سيكونون معفيين من طاعة هذه الوصية بمجيء المسيح. في الواقع، كان الختان مطلوبًا دائمًا، منذ زمن **إبراهيم** فصاعدًا، ليكون أي رجل جزءًا من الشعب الذي خصصه الله للخلاص، سواء كان من نسل إبراهيم أم لا.

الختان كعلامة على العهد الأبدي

لم يكن يُسمح لأحد بأن يكون جزءًا من الجماعة المقدسة (المفصولة عن الأمم الأخرى) ما لم يخضع للختان. لقد كان الختان العلامة الجسدية للعهد بين الله وشعبه المميز.

علاوة على ذلك، لم يكن هذا العهد محدودًا بفترة زمنية معينة أو مقتصرًا على نسل إبراهيم البيولوجي؛ بل شمل أيضًا جميع الغرباء الذين أرادوا الانضمام رسميًا إلى الجماعة والاعتراف بهم كأنداد أمام الله. كان الرب صريحًا: "وهذا الحكم يسري على

المولود في بيتك، كما يسري على الغريب الذي اشتريته بمالك. فيجب أن يُختن كل ذكر منكم، فيكون عهدي في أجسادكم عهدًا أبديًا" (التكوين ١٧: ١٢-١٣).

الأمم ومتطلب الختان

إذا كان الأمم لا يحتاجون حقًا إلى هذه العلامة الجسدية ليصبحوا جزءًا من الشعب الذي خصه الرب، فلا يوجد سبب يجعل الله يفرض الختان قبل مجيء المسيح ولكن لا يفرضه بعد ذلك.

لا يوجد دعم نبوي لهذا التغيير

لكي يكون هذا الادعاء صحيحًا، يجب أن يكون هناك إشارة إلى ذلك في النبوءات، وكان يجب أن يخبرنا يسوع أن هذا التغيير سيحدث بعد صعوده. ومع ذلك، لا يوجد في العهد القديم أي ذكر عن انضمام الأمم إلى شعب الله يشير إلى أنهم سيكونون معفيين من أي وصية، بما في ذلك الختان، لمجرد أنهم ليسوا من نسل إبراهيم البيولوجي.

سببان شائعان لعدم طاعة هذه الوصية الإلهية

السبب الأول:

الكنائس تُعلم خطأً أن وصية الختان قد أُلغيت

السبب الأول الذي يجعل الكنائس تُعلم أن شريعة الله بشأن الختان قد أُلغيت (دون تحديد من يُفترض أنه ألغاه) يكمن في صعوبة تنفيذ هذه الوصية. يخشى قادة الكنائس أنه إذا قبلوا وعلموا الحقيقة – وهي أن الله لم يُعطِ أي تعليم بالغاءها – فإنهم سيفقدون العديد من الأتباع.

بشكل عام، هذه الوصية غير مريحة للتنفيذ، وقد كانت كذلك دائمًا. حتى مع التقدم الطبي، فإن المسيحي الذي يقرر طاعة هذه الوصية يجب أن يجد مختصًا لإجراء العملية، ويدفع من ماله الخاص (لأن معظم خطط التأمين الصحي لا تغطيها)، ويخضع للإجراء الجراحي، ويتعامل مع التحديات بعد الجراحة، ويواجه وصمة اجتماعية، بالإضافة إلى معارضة محتملة من العائلة، والأصدقاء، والكنيسة.

شهادة شخصية

يجب أن يكون الإنسان عازمًا حقًا على طاعة هذه الوصية لكي يُتممها، وإلا فإنه سيتراجع بسهولة. التشجيع على التخلي عن هذا الطريق متوفر بكثرة. أعلم هذا لأنني مررت به شخصيًا عندما ختنت في سن ٦٣ طاعةً لهذه الوصية.

السبب الثاني:

سوء فهم التفويض أو التحويل الإلهي

السبب الثاني، وربما الأهم، هو أن الكنيسة تفتقر إلى فهم صحيح للتفويض أو التحويل الإلهي. استغل الشيطان هذا الضعف مبكرًا، إذ بدأت النزاعات على السلطة بين قادة الكنيسة بعد صعود يسوع بعدة عقود، وانتهت بالاستنتاج العبثي بأن الله قد فوض إلى بطرس وخلفائه المزعومين سلطة إجراء أي تغييرات يريدونها على شريعة الله.

لقد امتدَّ هذا التحريف إلى ما هو أبعد من الختان، ليؤثر على العديد من الوصايا الأخرى في العهد القديم، والتي كان يسوع وأتباعه يطيعونها دائمًا بأمانة.

السلطة على شريعة الله

بتحريض من الشيطان، تجاهلت الكنيسة حقيقة أن أي تفويض للسلطة على شريعة الله المقدسة لا يمكن أن يأتي إلا مباشرة من الله نفسه – إما عن طريق أنبيائه في العهد القديم أو عن طريق مسيَّاه.

من غير المعقول أن يمنح البشر لأنفسهم سلطة تغيير شيء ثمين لدى الله مثل شريعته. لم يُحذَّر أي نبي من أنبياء الرب، ولا يسوع نفسه، بأن الآب سيمنح بعد المسيَّا أي مجموعة أو فرد، سواء داخل الكتاب المقدس أو خارجه، القدرة أو الإلهام لإبطال أو إلغاء أو تعديل أو تحديث ولو أصغر وصاياه. بل على العكس، أعلن الرب بوضوح أن هذا سيكون خطيئة جسيمة:

“لا تُضيفوا إلى ما أوصيكم به ولا تُنقصوا منه، بل احفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أمركم بها” (تثنية ٤: ٢).

فقدان الفردية في العلاقة مع الله

الكنيسة كوسيط غير مقصود

إحدى القضايا الخطيرة الأخرى هي فقدان الفردية في العلاقة بين المخلوق والخالق. لم يكن دور الكنيسة أبدًا أن تكون وسيطًا بين الله والإنسان، ومع ذلك، فقد تبنت هذا الدور في وقت مبكر من العصر المسيحي.

بدلاً من أن يكون لكل مؤمن علاقة شخصية ومباشرة مع الآب والابن، مسترشداً بالروح القدس، أصبح الناس يعتمدون بالكامل على قادتهم لإخبارهم بما يسمح به الرب أو يحرمه.

الوصول المقيد إلى الكتب المقدسة

حدثت هذه المشكلة الخطيرة إلى حد كبير لأن الوصول إلى الكتب المقدسة، حتى إصلاح القرن السادس عشر، كان امتيازاً مقصوراً على رجال الدين. وكان محظوراً تماماً على عامة الناس قراءة الكتاب المقدس بأنفسهم، بحجة أنهم غير قادرين على فهمه دون تفسير كهنوتي.

تأثير القادة على الشعب

الاعتماد على تعاليم القادة

مرّت خمسة قرون، ورغم الوصول العام إلى الكتب المقدسة، لا يزال الناس يعتمدون حصرياً على ما يعلّمه قادتهم – سواء كان صحيحاً أم خاطئاً – مما يجعلهم غير قادرين على التعلم والتصرف بشكل مستقل وفقاً لما يطلبه الله من كل فرد.

ولا تزال نفس التعاليم الخاطئة عن وصايا الله المقدسة والأبدية التي كانت موجودة قبل الإصلاح تُدرّس في المعاهد اللاهوتية لكل طائفة مسيحية.

تعليم يسوع عن الشريعة

على حد علمي، لا توجد مؤسسة مسيحية واحدة تُعلّم القادة المستقبليين ما علّمه يسوع بوضوح: أنه لم تفقد أي من وصايا الله صلاحيتها بعد مجيء المسيح:

“الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا، يُدعى أصغر في ملكوت السماوات. وأما من عمل وعلّم، فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات” (متى ١٨: ٥-١٩).

الطاعة الجزئية في بعض الطوائف

الالتزام الانتقائي بوصايا الله

تحاول بعض الطوائف تعليم أن وصايا الرب صالحة إلى الأبد، وأنه لا يوجد أي كاتب كتابي بعد المسيح كتب ضد هذا الفهم. ومع ذلك، ولسبب غامض، فإنها تقصر قائمة الوصايا السارية على تلك التي قررت كنائس أخرى إعلانها ملغاة.

تُرَكِّز هذه الطوائف على الوصايا العشر (بما في ذلك السبت، اليوم السابع من الوصية الرابعة) وعلى الشرائع الغذائية المذكورة في لاويين ١١، لكنها لا تتجاوز ذلك.

عدم الاتساق في الانتقائية

الشيء الأكثر إثارة للدهشة هو أن هذه الاختيارات المحددة لا تُرافقها أي تبريرات واضحة تستند إلى العهد القديم أو الأناجيل الأربعة، تشرح لماذا تُعتبر هذه الوصايا إلزامية، بينما وصايا أخرى مثل الشعر واللحية، والصرّة (تسيتسيت)، أو الختان لا تُذكر أو تُدافع عنها.

وهذا يثير التساؤل: إذا كانت جميع وصايا الرب مقدسة وعادلة، فلماذا يتم اختيار بعضها للطاعة دون غيرها؟

العهد الأبدي

الختان كعلامة على العهد

الختان هو العهد الأبدى بين الله وشعبه، وهو جماعة من البشر المقدسين الذين فصلوا عن بقية الشعوب. كانت هذه الجماعة مفتوحة دائماً للجميع ولم تكن يوماً محصورة على نسل إبراهيم البيولوجي، كما يظن البعض.

منذ اللحظة التي أقام فيها الله إبراهيم كأول فرد في هذه الجماعة، جعل الرب الختان علامة ظاهرة وأبدية للعهد. وقد أوضح أن كلاً من ذريته الطبيعية وأولئك الذين ليسوا من نسله يحتاجون إلى هذه العلامة الجسدية للعهد إذا أرادوا أن يكونوا جزءاً من شعبه.

كتابات الرسول بولس كحجة لعدم طاعة شرائع الله الأبدية

تأثير ماركيون على قانون الكتاب المقدس

إحدى المحاولات الأولى لجمع الكتابات المختلفة التي ظهرت بعد صعود المسيح قام بها [ماركيون](#) (٨٥ - ١٦٠ م)، وهو مالك سفن ثري في القرن الثاني. كان ماركيون تابعاً متحمساً لبولس لكنه كان يحتقر اليهود.

كانت "إنجيله" يتألف بشكل أساسي من كتابات بولس وإنجيل خاص به، والذي يعتبره كثيرون نسخة محرّفة من إنجيل لوقا. رفض ماركيون جميع الأناجيل والرسائل الأخرى، معتبراً إياها غير موحى بها. وفي كتابه، أزال جميع الإشارات إلى العهد القديم، لأنه علم أن الإله الذي سبق يسوع لم يكن هو الإله الذي بشر به بولس.

رفضت كنيسة روما كتاب ماركيون وأدانته كهرطقي، لكن نظرته إلى كتابات بولس باعتبارها الوحيدة الموحى بها، ورفضه للعهد القديم بأكمله وإنجيلي متى ومرقس ويوحنا، كانت قد أثرت بالفعل على معتقدات العديد من المسيحيين الأوائل.

أول قانون رسمي للعهد الجديد في الكنيسة الكاثوليكية

تطور قانون العهد الجديد

تم الاعتراف رسمياً بأول قانون للعهد الجديد في أواخر القرن الرابع، بعد حوالي ٣٥٠ عاماً من عودة يسوع إلى الأب. لعبت المجامع الكنسية في روما، وهيبو (٣٩٣ م) وقرطاج (٣٩٧ م) دوراً حاسماً في تحديد الكتب السبعة والعشرين التي تشكل العهد الجديد اليوم.

كان لهذه المجامع دور أساسي في توحيد القانون لمواجهة التفسيرات المختلفة والنصوص المتنوعة التي كانت متداولة بين الجماعات المسيحية.

دور أساقفة روما في تشكيل الكتاب المقدس

الموافقة على رسائل بولس وإدراجها

تم إدراج رسائل بولس ضمن المجموعة التي وافقت عليها كنيسة روما في القرن الرابع. وأُعتبرت هذه المجموعة مقدسة من قبل الكنيسة الكاثوليكية، وسُمّيت *Biblia Sacra* باللاتينية و *ta biblia ta hagia* (Τὰ βιβλία τὰ ἅγια) باليونانية.

بعد قرون من النقاش حول أي الكتابات يجب أن تُدرج في القانون الرسمي، وافق الأساقفة على إعلان الكتب التالية كنصوص مقدسة: العهد القديم اليهودي، الأناجيل الأربعة، سفر أعمال الرسل (المنسوب إلى لوقا)، الرسائل الموجهة إلى الكنائس (بما في ذلك رسائل بولس)، وسفر الرؤيا المنسوب إلى يوحنا.

استخدام العهد القديم في زمن يسوع

من المهم ملاحظة أنه خلال زمن يسوع، كان جميع اليهود، بما في ذلك يسوع نفسه، يقرؤون ويستشهدون حصريًا بالعهد القديم في تعاليمهم. وقد استندت هذه الممارسة بشكل أساسي إلى النسخة اليونانية للنص، المعروفة باسم السبعينية، والتي جُمعت قبل حوالي ثلاثة قرون من المسيح.

تحدي تفسير كتابات بولس

التعقيد وسوء الفهم

أُدرجت كتابات بولس، مثل كتابات المؤلفين الآخرين بعد يسوع، في الكتاب المقدس الرسمي الذي أقرته الكنيسة منذ قرون، ولذلك تُعتبر أساسية في العقيدة المسيحية.

لكن المشكلة لا تكمن في بولس نفسه، بل في تفسير كتاباته. فقد كُتبت رسائله بأسلوب معقد وصعب، وهو تحدّ تم الاعتراف به حتى في زمانه (كما هو مذكور في ٢ بطرس ١٦: ٣)، عندما كان السياق الثقافي والتاريخي لا يزال مألوفًا للقراء. أما تفسير هذه النصوص بعد قرون، في سياق مختلف تمامًا، فيزيد من صعوبة الفهم.

مسألة السلطة والتفسيرات

إشكالية سلطة بولس

القضية الأساسية ليست في أهمية كتابات بولس، بل في مبدأ السلطة ومنحها. وكما سبق توضيحه، فإن السلطة التي تنسبها الكنيسة إلى بولس لإلغاء أو تعديل أو تصحيح وصايا الله المقدسة والأبدية لا تستند إلى أي نصوص كتابية سابقة له. ولذلك، فإن هذه السلطة لا تأتي من الرب.

لا توجد نبوءة في العهد القديم أو في الأناجيل تشير إلى أن الله سيرسل، بعد المسيا، رجلاً من طرسوس يجب على الجميع الاستماع إليه واتباعه.

توافق التفسيرات مع العهد القديم والأنجيل

ضرورة الاتساق

هذا يعني أن أي فهم أو تفسير لكتابات بولس يكون خاطئاً إذا لم يتوافق مع الوحي الذي سبقه. ولذلك، فإن المسيحي الذي يخشى الله وكلمته حقاً يجب أن يرفض أي تفسير للرسائل – سواء لبولس أو لأي كاتب آخر – لا يتماشى مع ما كشفه الرب عبر أنبيائه في العهد القديم ومن خلال مسيِّاه، يسوع.

التواضع في تفسير الكتاب المقدس

يجب أن يتحلّى المسيحي بالحكمة والتواضع ليقول: “أنا لا أفهم هذه الآية، والتفسيرات التي قرأتها خاطئة لأنها لا تحظى بدعم أنبياء الرب وكلمات يسوع. سأتركها جانباً حتى يوضحها لي الرب يوماً ما إذا شاء ذلك.”

اختبار عظيم للأمم

اختبار الطاعة والإيمان

قد يُعتبر هذا أحد أعظم الاختبارات التي اختار الرب فرضها على الأمم، وهو اختبار مماثل لما واجهه بنو إسرائيل في رحلتهم إلى كنعان. كما جاء في تثنية ٨:٢: “وَتَذَكَّرْ كَيْفَ سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَذِهِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، لِيُذَلِّكَ وَيَخْتَبِرَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ: أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لَا؟”

تمييز الأمم المطيعين

في هذا السياق، يسعى الرب إلى معرفة أي من الأمم على استعداد حقيقي للانضمام إلى شعبه المقدس. هؤلاء هم الذين يقررون طاعة جميع الوصايا، بما في ذلك الختان، على الرغم من الضغوط الشديدة من الكنيسة والعديد من المقاطع في رسائل الكنائس التي يبدو أنها توحى بأن بعض الوصايا – التي وُصفت بأنها أبدية في الأنبياء والأنجيل – قد أُلغيت للأمم.

ختان الجسد والقلب

ختان واحد: جسدي وروحي

من المهم التوضيح أنه لا يوجد نوعان من الختان، بل نوع واحد فقط: الجسدي. يجب أن يكون واضحاً للجميع أن عبارة “ختان القلب”، المستخدمة في الكتاب المقدس، هي تعبير مجازي بحت، تماماً مثل “القلب المنكسر” أو “القلب الفرح”.

عندما يذكر الكتاب المقدس أن شخصاً ما “أغلف القلب”، فهذا يعني ببساطة أنه لا يعيش كما يجب، أي كمن يحب الله حقاً ومستعد لطاعته.

أمثلة من الكتاب المقدس

بعبارة أخرى، قد يكون هذا الرجل قد خُتن جسديًا، لكن أسلوب حياته لا يتماشى مع الحياة التي يتوقعها الله من شعبه. فقد أعلن الله من خلال النبي إرميا أن إسرائيل بأكملها كانت في حالة “عُرلة القلب”:
“إِنَّ كُلَّ الْأُمَمِ عُرْلٌ، وَكُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ عُرْلُ الْقُلُوبِ” (إرميا ٩: ٢٦).

من الواضح أنهم كانوا جميعًا مختونين جسديًا، ولكن عندما ابتعدوا عن الله وتخلّوا عن شريعته المقدسة، حُكم عليهم بأنهم غير مختونين في القلب.

وجوب الختان الجسدي وقلبيًا معًا

يجب أن يكون جميع أبناء الله الذكور، سواء كانوا يهودًا أم أممًا، مختونين – ليس فقط جسديًا، بل أيضًا في قلوبهم. هذا الأمر واضح في هذه الكلمات الصريحة:
“هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَا يَدْخُلُ مَقْدِسِي غَرِيبٌ، لَا أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ الْمُقِيمِينَ فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَخْتُونًا فِي الْجَسَدِ وَفِي الْقَلْبِ” (حزقيال ٩: ٤٤).

الاستنتاجات الأساسية

١. مفهوم ختان القلب كان موجودًا دائمًا ولم يُقدّم في العهد الجديد كبديل عن الختان الجسدي الحقيقي.
٢. الختان مطلوب من كل من ينتمي إلى شعب الله، سواء كان يهوديًا أم أمميًا.

الختان ومعمودية الماء

بديل خاطئ

يعتقد البعض خطأً أن المعمودية الماء قد شرّعت للمسيحيين كبديل للختان. لكن هذا الادعاء مجرد اختراع بشري، ومحاولة للتهرب من طاعة وصية الرب.

لو كان هذا الادعاء صحيحًا، لكانا وجدنا مقاطع في كتب الأنبياء أو في الأناجيل تشير إلى أنه بعد صعود المسيح، لن يكون الله بحاجة إلى الختان للأمم الذين يرغبون في الانضمام إلى شعبه، وأن المعمودية ستحل محله. لكن لا يوجد أي نص كتابي يدعم هذا الادعاء.

أصل معمودية الماء

علاوة على ذلك، من المهم ملاحظة أن معمودية الماء سبقت المسيحية. لم يكن يوحنا المعمدان “مخترعًا” ولا “رائدًا” للمعمودية.

الأصول اليهودية للمعمودية (الميكفاه)

الميكفاه كطقس للتطهير

كانت المعمودية، أو **الميكفاه**، طقسًا راسخًا للغطس في الماء بين اليهود قبل زمن يوحنا المعمدان بوقت طويل. كان الميكفاه يرمز إلى التطهير من الخطيئة والنجاسة الطقسية.

عندما كان الأممي يُختن، كان يخضع أيضًا لطقس الميكفاه. لم يكن هذا الفعل مجرد تطهير طقسي فحسب، بل كان يرمز أيضًا إلى الموت – أي “الدفن” في الماء – لحياته الوثنية القديمة. أما الخروج من الماء، الذي يشبه السائل الأمنيوسي في الرحم، فكان يرمز إلى ولادته من جديد ليبدأ حياة جديدة كيهودي.

يوحنا المعمدان والميكفاه

لم يكن يوحنا المعمدان يبتكر طقسًا جديدًا، بل كان يمنح معنىً جديدًا لطقس موجود بالفعل. فبدلاً من أن يكون الغطس مقتصرًا على الأمم الذين “يموتون” لحياتهم القديمة و”يولدون من جديد” كيهود، دعا يوحنا اليهود أنفسهم الذين يعيشون في الخطيئة إلى “الموت” و”الولادة الجديدة” كعمل من أعمال التوبة.

لكن هذا الغطس لم يكن بالضرورة حدثًا لمرة واحدة. كان اليهود يغتسلون في الميكفاه كلما أصبحوا نجسين طقسيًا، مثلما كانوا يفعلون قبل دخولهم إلى الهيكل. كما أنهم – ولا يزالون حتى اليوم – يخضعون للغطس في يوم الغفران (يوم كيبور) كفعل من أفعال التوبة.

التمييز بين المعمودية والختان

أدوار الطقسين المختلفة

إن فكرة أن المعمودية حلت محل الختان لا تحظى بأي دعم من الكتاب المقدس أو من الممارسات اليهودية التاريخية. بينما كانت المعمودية (الميكفاه) ولا تزال رمزًا ذا مغزى للتوبة والتطهير، إلا أنها لم تُصمم أبدًا لتحل محل الختان، الذي يُعد العلامة الأبدية لعهد الله.

لكل من الطقسين غايته ومعناه المميز، ولا يمكن لأحدهما أن ينفي الآخر.